من اعماق السجون

للكاتب الشاعر اوسكار وايلد تعريب نقولا يوسف

عني بنشره يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر (ص٨٦)

نعمَ السجن لصاحب الجنايات مأوًى في الخلوة والاعتزال ليعود الى نفسه ويتوب الى الله بالتوبة عن آثامه لولا انَّ كثيرين لسوء اخلاقهم واباء نفسهم يزيدهم السجن معرَّةً ونفورًا. وممَّن عرف فضلَ السجن كاتبٌ شاعر ايرلندي شهير يُدعى « اوسكار اوفلاهرتي وايلد » ألقي في السجن فعاش في ظلمته سنتين قضى قسماً منهما بالفكرة بعد السكرة. ومما كتبهُ وقتئذٍ كتاب عنوانهُ « من اعماق السجون » (de Profundis) اثبت فيهِ افكارهُ وعواطفهُ التي كانت تنتابهُ في تلك المدَّة فادَّت بهِ الى معرفة الحياة وقيمتها وما يجب على الانسان الحكيم فعلهُ ليصرفها في سبيل البرّ ومنفعة الهيئة الاجتماعيَّة ويحيد عن الملذَّات الباطلة التي ينخدع بمظاهرها. وكان امكَن المعرّب ان يقابل بين هذا التأليف وتأليف يشبههُ اصاب شهرة كبيرة عنوانهُ « حبوسي » لسلفيو پلكو الايطاليّ (S. Pellico)

ل. ش

شذرات

﴿ غلبة الطَّبع على التطبُّع ﴾ وقفنا لاحد ادباء الفرنسويين عمانويل كوسكين (Em. Cosquin) على كتاب ظريف جمع فيهِ ما يُعرف عن اصل مثَل قديم مثَل النُّور والشمع (Le Conte du-Chat et de la Chandelle) بياناً لغلبة الطبع على التطبُّع فروى ما ورد من ذلك في انحاء الشرق والغرب ليبيّن تسلسل المثل المذكور والصور المختلفة التي ذُكر فيها ولم ينسَ العربيَّة الَّا انهُ ما ذكر منها اكثرهُ حديث. وقد فاتهُ ما روينا من ذلك في كتابنا مجاني الادب (الجزء الثاني ص ٢٠٨—٢٠٩) نقلاً عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه المتوفَّى سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م). فيكون

هذا المثل اذن راقياً الى القرن العاشر للمسيح عند العرب ولعلّهم اخذوهُ من امثال الهند

﴿ المؤتمر الفلكي في رومية ﴾ عُقد هذا المؤتمر في ايّار المنصرم فحضرهُ ١٥٠ من مندوبي الدول المختلفة الذين قصدوهُ من كلّ انحاء المعمور كان بينهم عدّة فلكيين يسوعيين الذين يديرون حاضرًا في جهات العالم تيفًا وثلثين مرصدًا فلكيًا . وستُنشر اعمال هذا المؤتمر قريباً كما هو المأمول . ومما امتاز بهِ المؤتمر المذكور انّ الذين حضروه رغبوا في مواجهة الحبر الاعظم مع وفود قدمت رومية لهذه الغاية . فدخلوا قاعة الكنيسكان المختصّة بتلك المواجهات الرسميّة واتمّوا كغيرهم من الزوّار ما يُفرض على الجميع من التحيّات وعلائم الاكرام . لكنّ الحبر الاعظم اذ عرفهم من مندوبي المؤتمر الفلكي امر بأن يُدخلوهم الى ديوانهِ الخاص حيث استقبلهم بكل لطف ووجّه الى كلّ منهم كلمةً من الثناء والترحاب . ثمّ خطب اليهم في شرف علم الفلك وتوجيه مدارك اصحابهِ الى الله بما يكشفهُ لهم من عجائب المخلوقات وخفايا الكائنات حتى اقاصي المجاهل . فكان لكلام امام الاحبار في قلوب اولئك السامعين احسن وقع وخصوصاً في الوثنيين منهم والبروتستانت فالتمسوا منهُ ان يوزع عليهم خطابهُ ليأخذوهُ كتذكار زيارتهم للبلاط البابوي . ثمّ طلبوا بركة قداستهِ وخرجوا وكلهم لسان واحد في الثناء على لطفهِ متعجبين ممّا رأوا وما سمعوا وصرخ احدهم وكان بروتستانتيًا : « ان سمعتُ احدًا يذكر البابا بسوء اعرف الآن كيف أفحمهُ »

﴿ عدل احد ملوك المغرب ﴾ هو السلطان الشهير ابو يوسف يعقوب المنصور من دولة الموحدين الذي تولّى الامر من السنة ٥٨٠ الى ٥٩٥ هـ (١١٨٤—١١٩٩م) فمنّا قرأنا لهُ في احد المجاميع القديمة من مخطوطات مكتبة الوجيه جرجس بك صفا الحكاية الآتية (في الصفحة ٦٥—٦٦) قال : « كان لسلطان المغرب يعقوب المنصور ابن يوسف لم يكن بمدينة مراكش احسن صورةً منهُ ولهُ من العمر ثمانية عشرة سنة . فقدم الى مدينة مراكش رجلٌ يرقص الدبّبة ولهُ زوجةٌ كانت جميلة فرآها ابن اخي يعقوب فاعجبتهُ فارسل اليها واخذها عنوةً . فوقف زوجها ليعقوب المنصور وقال : يا امير المؤمنين اني رجل غريب وقد غصبني ابن اخيك واخذ زوجتي . فقال لهُ : اتبعني

أيها الرجل . وجاء به الى قصر ابن اخيه وقال الرجل : قِفْ ها هنا . ودخل يعقوب الى القصر فاستدعى ابن اخيه وقال له : لِمَ اخذتَ زوجة الرجل . فانكر ذلك فدعا بالرجل وقال له : قد انكر . فقال : « يا امير المؤمنين لي كلبة قد ربّتها زوجتي وهي تعرفها من بين الف امرأة . فمُرْ بإحضار كلّ امرأة في القصر وأُحضرُ الكلبة وهي تعرفها وتقف عندها وان لم تفعل ذلك فاقتلني يا امير المؤمنين » . فقال لابن اخيه : لا تبقَ امرأةٌ الّا وتُخرَج . فأخرج النساء . وخرجت المرأة بينهنّ وقد غيّر لباسها وألبسها الحليّ والحُلَل والجواهر والثياب الفاخرة . فعند ذلك اطلق الكلبة فوقفت عندها فاستدعى الرجل وقال له : خذ زوجتك بما عليها . ثمّ التفت الى ابن اخيه وقال له : قصرُكَ مملوء بالجواري الحسان وانت تمدّ عينك الى زوجة رجل غريب من بلاد بعيدة تأخذها غصباً . ثمّ قال لغلمانه : اعطوهُ الرماح (وهذه قِتْلَةُ الغاربة) فخرجت أمّهُ حاسرةً وبكت بين يديه وقالت : ما لي غيرهُ فلا تفجعني فيه . فقال : لا والله لأهذّنّ به ملوك المغرب وغيرهم . وقتلهُ وقيل انهُ سجنهُ الى ان مات

﴿ ملك الصحافة في انكلترة ﴾ اسمهُ الحالي شهير باللورد نورثكليف (Northcliffe) وهو يتولى حاضراً ادارة نحو ٦٠ مجلّة او جريدة كبرى من جملتها الديلي ميل (Daily Mail) والتيمس (Times) والديلي ميرور (Daily Miror) المجلّة المصوّرة . ومعظم هذه الصحف يُطبَع منها كل يوم مئات الوف من النسخ بل يتجاوز بعضها المليون . أمّا صاحبها فكان اسمهُ في صغره الفرد هرمسورث (Alf. Harmsworth) ولد في دوبلين سنة ١٨٦٥ من ابٍ انكليزي محامي دعاوى وام ارلندية . ولها ١٣ ولداً . فشُغف الفرد بالصحافة منذ حداثته فكان يحرّر المقالات في الجرائد وعمرهُ لا يتجاوز ١٦ سنة ثمّ انشأ على حسابه جريدة وعمرهُ ٢٠ سنة جريدة ثمّ الحقها بمجلّة فراجا رواجاً كبيراً حتى انهُ صار يربح بعد خمس سنوات من مئشوراته اكثر من مليون فرنك واقترن بفتاة عاقلة قليلة المال وزاد نشاطاً ثم اشترى على حسابه سنة ١٨٩٤ جريدة اخبار المسا (Evening News) ثم الديلي ميل ثمّ التيمس وكان اذا اشترى جريدة يخفض اسعارها فتزيد رواجاً . وبذلك صار اليوم من اكبر اشراف انكلترة واعظم ارباب ثروتها . وقد دفع في الحرب الاخيرة مبالغ عظيمة لخدمة وطنه

﴿قصّة سليمان الحكيم وافيقية امرأة يشوع بن سيراخ﴾ نشرنا في العام الماضي (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٩٠٣-٩٠٨) هذه القصّة عن كتاب كرشوني مخطوط دخل في مكتبتنا الشرقيّة ولم نقف وقتئذٍ على نسخة اخرى منها تستجد هذه الحكاية الى سليمان او الى أفيقية المذكورة امرأة يشوع بن سيراخ مع بُعد تاريخهما. وقد افادنا احد الادباء انّ هذه الرواية واردة في قصص الف ليلة وليلة وهي الحكاية الاولى في كيد النساء من حكاية الملك وولده والوزراء والجارية (اطلب الجزء الثالث من طبعة مطبعتنا الكاثوليكيّة ص ٣٥٨-٣٦٠) الّا انّ هناك لا ذكر لسليمان ولا لافيقية وفي روايتنا تفاصيل عديدة تخلو منها الحكاية الواردة في الف ليلة وليلة. اطلب ايضاً كتاب العلامة شوڤين (V. Chauvin: Bibliographie des Ouvrages arabes, VII, 120-123) وما اورده تحت عنوان اثر الاسد (La trace du Lion)

﴿رؤساء الدين في اسبانية وحرق كتب الاسلام﴾ قرأنا بسرور في عدد أيار من السنة الحاليّة تفاصيل رحلة صديقنا رئيس المجمع العلميّ في دمشق السيّد محمد كرد علي الى اوربّة وما لقيهُ هناك من الحفْو والاكرام لدى المستشرقين واطلاعهُ على خزائن كتبهم واستنساخ بعض تآليفهم النادرة بالتصوير الشمسيّ. ولم نأخذ على جنابه سوى ما كتبهُ هناك (ص ١٥٦) عن زيارته لاسبانية قال سامحهُ الله:

وزرتُ القسم العربي من خزانة مكتبة الأمّة وفيه مجموعة لا بأس بها كما زرتُ خزانة كتب الاسكوريال من ادبار القرون الوسطى والقسم العربي منها حديث أُخذ غنيمةً من احدى سفن ملك المغرب الاقصى على عهد من اسبانيا وذلك في القرن السابع عشر. ولا تقلّ هذه المجموعة عن التي بمدريد وليس في هذه اسبانيا مجموعات مهمّة من المخطوطات العربيّة لانّ رؤساء الدين فيها كما تعلمون يوم منح ملاحب قشتالة الاندلس واستخلصها في القرن الثامن للهجرة من ايدي العرب ظلّوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وُجدت ليقضوا بها عليهم وعلى مدنيّتهم (كذا) »

اخذنا العجب من عود السيّد محمّد كرد علي الى هذه التهمة وكنّا سابقاً فنّدنا في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٩٥٨-٩٦٠) ما نشرهُ في مجلّة المقتبس حيث روى انّ الكردينال كسينس «احرق في يوم واحد الف الف كتاب». وها هوذا اليوم يدّعي «ان رؤساء الدين ظلّوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وُجدت» كما يزعم انّ خزانة الكتب الشرقيّة في الاسكوريال حديثة وانّها غنيمة احدى سفن المغرب في القرن السابع عشر كأنهُ بادت قبلها آثار الكتب العربيّة من اسبانية

فيسوغنا أن نقول لجنابه انَّ في هذه الاقوال اغلاطاً عديدة . فلو قرأ مقدمة وصف مخطوطات الاسكوريال للماروني ميخائيل القزيري في مجلدين ضخمين طبعا في اللاتينيَّة في القرن الثامن عشر لعرف انَّهُ كان يوجد في مدريد قبل غنيمة ملك مراكش في القرن السادس عشر مكتبة واسعة كان وكيلها مستشرق شهير وهو راهب بندكتي اسمهُ ارياس منتانوس الذي توفي سنة ١٥٩٨ وخلفهُ عليها تلميذهُ يوسف دي سيغوتزا وقد بقي قسمٌ من قائمتها يحتوي على وصف ٩١٧ مخطوطاً وكذلك وصف منها سنة ١٥٨٣ العلَّامة البروتستاني هوتنغر ٢٦١ مخطوطاً . ويمكنهُ ان يقرأ هناك ايضاً انَّهُ في السنة ١٦٧١ سقطت صاعقة على قصر الاسكوريال فالتهمت نحو الفين من كتب خزانتها العربيَّة . امَّا ما نسبهُ سابقاً الى حريق كسينس في يوم واحد وحاضراً الى رؤساء الدين مدَّة خمسين سنة فليتفضَّل جنابهُ ويذكر لنا نصَّاً تاريخيًّا قديماً يثبت قولهُ ونحن نعلم أنَّ ذلك كلَّهُ من الاوهام التي اشاعها بعض ذوي الاغراض فيعزّ علينا أنَّ رئيس المجمع العلميّ الدمشقي الذي نظمّنا في سلكهِ بلا استحقاق يروي مثل هذه الاخبار الواهية . ولا ينسَ جناب الكاتب ما فعل بعض الخلفاء الامويين في الاندلس كهشام المؤيد بالله وحاجبهِ ابي عامر المنصور اللذين احرقا كلَّ ما وقفا عليهِ من علوم الاوائل (راجع كتاب طبقات الامم للقاضي ابن صاعد الاندلسي ص٦٦ وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٩)

﴿الخبر الاعظم وجريدة الهدَّية﴾ سائنا تهافت جريدة الهدَّية على نشر ما شاع من الاخبار الكاذبة في بعض الصُّحف المتطرِّفة او المعادية للكنيسة الكاثوليكيَّة بخصوص مفاوضات مزعومة بين الكرسي الرسولي وحكومة السوفيت لفتح ابواب روسيَّة لنشر الدين الكاثوليكيّ في اقطارها . وهذه الاشاعات الباطلة التي كذَّبها رسميًّا الرقيب الروماني لسان حال الفاتيكان قد وجدت لها صدًى في الهدَّية فاستظرف سيادة المطران جراسيوس مسرَّة الامر وعلَّق عليهِ تعليقات كان هو في غنًى عنها لاسيما بعد ما فعلهُ الحبران الاعظمان بندكتوس الخامس عشر وبيوس الحادي عشر لانقاذ روسيَّة من مخاليب المجاعة وتوسُّطهما للدفاع عن ارباب الدين فيها وعن حقوقهم المقدَّسة وحفظ اوقافهم من مطامع البولشفيك وخلاص بطريركهم من حبسهِ وكلّ ذلك بتراهةٍ عجيبة . فاين ذلك من معرفة الجميل !!